حكمة الأزواج والزوجات

تزوج القاضي شريح من زينب بنت حُدير وكان يحبها حباً شديداً، زارته أمها ذات يوم في بيته وقالت له: أذنت لك في أن تؤدبها بكل ما تستطيع إن هي خرجت عن طوعك، ولا ترحمها في غلطةٍ صغيرةٍ كانت أم كبيرة ترتكبها، فضحك وأنشأ يقول:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم
فشُلّت يميني يوم أضربُ زينبا
أأضربها من غير ذنب أتت به
فما العدلُ مني ضرب من ليس يذنبا
فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ
إذا برزتْ لم تُبدِ منهنَ كوكبا
فتاةٌ تزين الحُلي إن هي حُلّيتْ
كأنّ المسكَ بفيها خالط مجلبا

فبكيت زينب وتعانقا وزاد الحب بينهما.

تزوج الحجاج من امرأة اسمها هند رغماً عنها وعن أبيها، وذات مرة وبعد مرور سنة جلست هند أمام المرآة تندب حظها وهي تقول:

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل

فإن أتاها مهر فلله درها وإن أتاها بغل فمن ذلك البغل

فسمعها الحجاج فغضب، فذهب إلى خادمه وقال له: اذهب إليها وبلّغها أني طلقتها في كلمتين فقط، لو زدت ثالثة قطعت لسانك، وأعطها هذه العشرين ألف دينار، فذهب إليها الخادم فقال: كُنتي فبنتي يعني؛ كنتي زوجته فأصبحتي طليقته، ولكنها كانت أفصح من الخادم فقالت:

كنا فما فرحنا ... فبنا فما حزنا.

وقالت خذ هذه العشرين ألف دينار لك بالبشرى التي جئت بها، وقيل إنها بعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحد على خطبتها، وهي لم تقبل بمن هو أقل من الحجاج، فأغرت بعض الشعراء بالمال فامتدحوها وامتدحوا جمالها عند عبد الملك بن مروان فأُعجب بها وطلب الزواج منها، فلما خطبها وافقت وبعثت إليه برسالة تقول: أوافق بشرط أن يسوق الحجاج نفسه البغل أو الجمل من مكاني هذا إليك في بغداد، فوافق الخليفة. فأمر الحجاج بذلك، فبينما الحجاج يسوق الراحلة إذا بها توقع من يدها ديناراً متعمدة ذلك، فقالت للحجاج: يا غلام لقد وقع مني درهماً فأعطنيه، فأخذه الحجاج وقال لها: إنه دينار وليس درهم فنظرت إليه، وقالت: الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم

ديناراً، ففهمها الحجاج وأسرَّها في نفسه، أي أنها تزوجت خيراً منه.

وعند وصولهم تأخر الحجاج في الإسطبل والناس يتجهزون للوليمة، فأرسل إليه الخليفة ليطلب حضوره، فرد عليه نحن قوم لا نأكل فضلات بعضنا أو أنه قال: ربتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة وأمر أن تدخل زوجته بأحد القصور، ولم يقربها إلا أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر، فعلمت هي بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه؛ لأنها أرسلت إليه أنها بحاجة له في أمر ما فتعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآليء، فلما رآها عبد الملك أثارته روعتها وحسن جمالها، وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج.

فقالت وهي تنظم حبات اللؤلؤ: سبحان الله.

فقال عبد الملك مستفهماً: لم تسبحين الله؟

فقالت: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك.

قال: نعم.

قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلا الغجر.

فقال متهللاً: نعم والله صدقتي، قبّح الله من لامني فيك ودخل بها من يومه هذا، فغلب كيدها كيد الحجاج.

قال رجل من كلب لامرأته لما دخل بها: ما أهزلك؟

قالت: هزالي أولجني بيتك.

وتخاصم أبو الأسود الدؤلي، اللغوي المشهور وواضع النحو، مع امرأته إلى القاضي على غلامهما، أيهما أحق بحضانته، فقالت المرأة: أنا أحق بحضانته: لأني حملته تسعة أشهر، ثم وضعته، ثم أرضعته، وترعرع بين أحضاني حتى صار كما تراه مراهقاً.

قال أبو الأسود: حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، فإن كان لها بعض الحق فيه، فإن لي الحق كله أو جله.

فقالت المرأة: لئن حمله خفاً، فقد حملته ثقلاً، ولئن وضعه شهوة، فقد وضعته كرهاً. فقال القاضي لأبي الأسود: ادفع إلى المرأة غلامها ودعني من سجعك.

تزوج أعمى امرأة فقالت: لو رأيت بياضي وحسني لعجبت بي، فقال: لو كنت كما تقولين ما تركك المبصرون لي.

ذكر العتبي أنه كان ماشياً في شوارع البصرة، فإذا امرأة جميلة من أجمل النساء تلاعب شيخاً سمجاً قبيحاً، وكلما كلمته تضحك في وجهه فدنى منها وقال:

من يكون هذا منك؟

قالت: هذا زوجي.

قال لها: كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك؟ إن هذا لعجب !!!

فقالت: يا هذا، لعله رُزِقَ مثلي فشكر، وأنا رزقت مثله فصبرت. والصبور، والشكور من أهل الجنة، أفلا أرضى بما قسمه الله؟

قال: أعجزني جوابها ومضيت لحالي...

قال التابعي الفقيه أيوب السختياني رحمه الله: ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب. حدثت هند عن أبيها - وكان أحد رواة الحديث - كما حدثت عن الحسن البصري وغيرهما. قدمت على عمر بن عبد العزيز في بلدة بخناصرة وكان قد حبس أخاها يزيد بن المهلب، فقالت له: يا أمير المؤمنين علام حبست أخي؟ قال: تخوفت أن يشق عصا المسلمين. فقالت له: فالعقوبة بعد الذنب أو قبل الذنب؟

روى عن نائلة بنت القرافصة حين زُفَّتْ إلى عثمان بن عفان وحملت إليه من الشام، فلما دخلت عليه ... قال لها: ألا تكرهين ما رأيت من شيبي...؟؟

قالت: إنى من نسوة أحب أزواجهن إليهن الكهل السيد...

قال: إنى جاوزت التكهيل فأنا شيخ.

قالت: أبليت عمرك في الإسلام ونصرة الرسول ﷺ في خير ما أفنيت فيه الأعمار.

قال: أتقومين لي أم أقوم إليك؟

قالت: ما قطعت إليك عرض السماوة أكثر من عرض البيت، بل أقوم إليك ..

وحكي أن بعض الملوك طلع يوماً إلى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره لم ير الراءون أحسن منها، فالتفت إلى بعض جواريه فقال لها: لمن هذه؟

فقالت: يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز، فنزل الملك وقد خامره حبها فاستدعى فيروز وقال له: يا فيروز. قال: لبيك يا مولاي.

قال: خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلد الفلانية وائتني بالجواب، فأخذ فيروز الكتاب، وتوجه إلى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهز أمره وبات ليلته، فلما أصبح ودَّع أهله وسار طالباً لحاجة الملك، ولم يعلم بما قد دبره الملك، وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعاً وتوجه متخفياً إلى دار فيروز فقرع الباب قرعاً خفيفاً فقالت امرأة فيروز: مَنْ بالباب؟ قال: أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس. فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا. فقال: زائر، فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة

وما أظن فيها خيراً، فقال لها: ويحك إنني الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني. فقالت: بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت أنك الملك ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سأترك ماءكم من غير ورد	وذاك لكثرة الوُرَّادِ فيه
إذا سقط الذباب على طعام	رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأُسُود ورود ماء	إذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن	ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر:

قل للذي شفّه الغرام بنا	وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قائل أبداً	قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت: أيها الملك تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه. فاستحى الملك من كلامها وخرج وتركها فنسي نعله في الدار. هذا ما كان من الملك، وأما ما كان من فيروز فإنه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه، فتذكر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله، فسكت ولم يبدِ كلاماً، وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها ثم عاد إليه فأنعم عليه بمائة دينار، فمضى فيروز إلى السوق واشترى ما يليق بالنساء وهيأ هدية حسنة، وأتى إلى زوجته فسلّم عليها وقال لها: قومي إلى

زيارة بيت أبيك. قالت: وما ذاك؟ قال: إن الملك أنعم علينا وأريد أن تظهري لأهلك ذلك. قالت: حباً وكرامة، ثم قامت من ساعتها وتوجهت إلى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها شهراً فلم يذكرها زوجها، فأتى إليه أخوها. وقال له: يا فيروز إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك، فقال: إن شئتم الحكم فافعلوا، فما تركت لها عليَّ حقاً، فطلبوه إلى الحكم فأتى معهم، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسا إلى جانبه، فقال أخو الصبية: أيد الله مولانا قاضي القضاة، إني أجّرت هذا الغلام بستانا سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة وأشجار مثمرة، فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره. فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له: ما تقول يا غلام؟ فقال: فيروز: أيها القاضي قد تسلمت هذا البستان وسلمته إليه أحسن ما كان. فقال القاضي: هل سلم إليك البستان كما كان. قال: نعم ولكن أريد منه السبب لرده. قال القاضي: ما قولك قال: والله يا مولاي ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت يوماً من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فحرمت دخول البستان إكراما للأسد، وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا فيروز ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثراً ولا التمس منه ورقاً ولا ثمراً ولا شيئاً ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس، وو الله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازاً من حيطانه على شجره

قال فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته، ولم يعلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك والله أعلم.

قرأت الإمبراطورة زوجة قيصر روسيا (الإسكندر الثالث) قراراً رسمياً بخط زوجها يقول: «العفو مستحيل، النفي إلى سيبيريا» فغيّرت الإمبراطورة موضع الفاصلة فصار القرار «العفو، مستحيل النفي إلى سيبيريا» عندها أُطلق سراح السجين الذي كان مقرّراً نفيُه إلى صقيع سيبيريا.

جاءت امرأة إلى عدي بن أرطأة تستعديه على زوجها وتشكو أنه عنين لا يأتيها !

فقال عدي: إني لأستحيي للمرأة أن تتعدى على زوجها من مثل هذا !!

فقالت: ولم لا أرغب فيما رغبت فيه أمك؟ فلعل الله أن يرزقني ابناً مثلك !!

أراد أعرابي السفر فقال لامرأته:

عدي السنين لغيبتي وتصبري وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته:

اذكر صبابتنا إليك وشوقنا وارحم بناتك إنهن صغار

فأقام وترك السفر.

تزوج رجل من الأعراب امرأة على زوجته القديمة، وكانت الجديدة تمر على باب القديمة وتقول:

وماتستوي الرِّجلان رجلٌ صحيحة ورجلٌ رمى فيها الزمان فَشُلَّتِ

ثم مرت بعد أيام فقالت:

وما يستوي الثوبان ثوب به البِلى وثوب بأيدي البائعين جديدُ

فخرجت إليها الزوجة القديمة فقالت:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل

ابتُلي الزوج بعادة سيئة، ألا وهي عادة التدخين. فحاولت زوجته إقناعه بالامتناع عن التدخين فلم يقتنع. اتبعت شتى السبل معه .. في البداية اتبعت أسلوب التلميح من بعيد، ثم انتقلت لأسلوب التلميح القريب .. ثم التصريح الواضح بأنها عادة سيئة تتلف المال والصحة، وتضايق الآخرين منه، لكن مع الأسف لم تصل إلى أي نتيجة معه. ثم اتبعت أسلوباً آخر معه.

فقالت له: إن المال الذي تصرفه للسجائر هو ملك العائلة، وليس ملكك وحدك، وليس لك الحرية في صرفه دون موافقتنا، لذلك مقابل كل علبة سجائر تدخنها تدفع مقابلها نصيب الأسرة، فإذا كانت قيمة علبة السجائر خمسة ريالات فعليك أن تدفع خمسة ريالات لنا فضحك الزوج، وقال: بل أدفع عشر ريالات لكم واتركوني

على راحتي، استمر الوضع مدة من الزمن، والزوج العزيز يدفع عشرة ريالات يومياً للأسرة مقابل العلبتين اللتين يدخنهما يومياً، ومع ذلك لم يمتنع عن التدخين.

لقد اعتقدت الزوجة أن ذلك المال سوف يردع الزوج عن عادته السيئة .. ولكن اعتقادها لم يكن في محله.

فكرت الزوجة في فكرة أخرى، فقررت أن تحرق العشرة ريالات التي تأخذها منه أمامه كل يوم، وفعلاً، كلما تسلمت العشرة ريالات منه أحرقتها أمامه فاحتج الزوج على هذا التصرف الذي عَدَّهُ تبذيراً وضياعاً لمال الأسرة.

فأجابته الزوجة: أنت حر فيما تعمل بنقودك، ونحن أحرار فيما نفعل بنقودنا، فكلانا نحرق النقود، مع اختلاف الأسلوب، لم يستطع الزوج أن يتحمل ذلك المنظر، فهذا المال يتعب هو في تحصيله، والزوجة بكل بساطة تحرقه، فجلس بينه وبين نفسه، وفكر، ثم قال في نفسه: فعلاً الاثنان هو وزوجته، يقومان بحرق النقود يومياً، ولكن الأسلوب هو المختلف فقط. فكان هذا الاستنتاج المنطقي كفيل بتركه لتلك العادة السيئة.

وبذلك استطاعت هذه الزوجة الذكية أن تنقذ زوجها العزيز من هذا المرض الفتاك.

سألـــ الزوج زوجته: لا أعرف كيف تكونين بهذا الجمال وهذا الغباء في الوقت نفسه؟

أجابت: لقد جعلني الله بهذا الجمال حتى تجتذب لي، وجعلني أيضا بهذا الغباء حتى أعرفك وأجتذب إليك.

يُروى عن أحدهم أنه في أثناء ذهابه للمنزل حصل بينه وبين زوجته خلاف ومشاجرة، وهذا الشيء ليس بغريب، ولكن هذه المرة طلبت الزوجة الطلاق من زوجها، وهو الشيء الذي أغضب الزوج فأخرج ورقة من جيبه وكتب عليها «نعم أنا فلان الفلاني أقرر وبكامل قواي العقلية أنني متمسك بزوجتي تمام التمسك ولا أرضى بغيرها زوجة».

ووضع الورقة في مظروف وسلمها للزوجة وخرج من المنزل غاضباً ...كل هذا والزوجة لا تعلم ما بداخل الورقة، وعندها وقعت الزوجة في ورطة ...أين تذهب وما تقول؟ وكيف تم الطلاق؟

كل هذه الأسئلة جعلتها في دوامة وحيرة وفجأة دخل الزوج البيت ودخل مباشرة إلى غرفته دون أن يتحدث بكلمة واحدة فذهبت الزوجة إلى غرفته وأخذت تضرب الباب فرد عليها الزوج بصوت مرتفع: ماذا تريدين؟

فردت الزوجة بصوت منخفض ومنكسر: أرجوك افتح الباب أريد أن أتحدث إليك !!

وبعد تردد فتح الزوج باب الغرفة وإذا بالزوجة تسأله أن يستفتي الشيخ وإنها نادمة أشد الندم. لعل الذي صار غلطة وأنها لا تقصد ما حدث ..

فردّ الزوج وهل أنت متندمة ومتأسفة حقاً على ما حدث ... فردت الزوجة: نعم نعم، والله إني لا أقصد ما قلت وإني نادمة أشد الندم على ما حدث !

عندها قال الزوج: افتحي الورقة وانظري ما بداخلها !!

وفتحت الزوجة الورقة ورأت ما بداخلها وأخذت تقبل الزوج وهي تقول: والله إن هذا الدين عظيم أن جعل العصمة بيد الرجل ولو جعلها بيدي كنت طلقتك *20* مرة.

طلق رجل امرأته، فلما أرادت الارتحال قال لها: اسمعي وليسمع من حضر، إني والله اعتمدتك برغبة، وعاشرتك بمحبة، ولم أجد منك زلة، ولم يدخلني عنك ملة، ولكن القضاء كان غالباً.

فقالت المرأة: جزيت من صاحب ومصحوب خيراً، فما استقللت خيرك، ولا شكوت ضيرك، ولا تمنيت غيرك، ولا أجد لك في الرجال شبيهاً، وليس لقضاء الله مدفع، ولا من حكمه علينا ممنع.

طلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى، ولما تزوجت غيره اشتد عليه ذلك، وندم على ما كان منه، فدخل عليه أشعب فقال له الوليد: هل لك أن تبلغ سعدى عني رسالة، ولك عندي خمسة آلاف درهم، فمد إليه قصيدة مطلعها:

أسعدى هل إليك لنا سبيل ولا حتى القيامة من تلاق

فأتاها أشعب واستأذنها في الدخول وأذنت له، فقالت: ما بدا لك في زيارتنا يا أشعب؟ فأجابها أشعب: أرسلني إليك الوليد برسالة، فأنشدها الشعر، فقالت لجواريها: عليكن بهذا الخبيث، فلما هممن به قال لها: لقد جعل لي الوليد خمسة آلاف درهم إن أنا فعلت، فقالت له: والله لئن لم ترجع إليه برسالتي هذه لأعاقبنك، فقال أشعب: ياسيدتي اجعلي لي أجراً، فقالت: لك بساطي هذا، فأعطته إياه، وتلت عليه البيت:

أتبكي على سعدى وأنت تركتها لقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

فلما بلغت الرسالة الوليد، ضاق صدره واغتاظ غيظاً شديداً، وقال لأشعب: اختر مني ثلاثا: إما أن أقتلك، أو أطرحك من هذا القصر، وإما أن ألقيك إلى هذه السباع فتفترسك، فقال أشعب: «ما كنت تعذب عيناً نظرت لسعدى»، فتبسم الوليد وخلى سبيله.

قالت الزوجة للزوج: لقد كنا مجانين حينما اشترينا البيانو.

قال لها الزوج: تكلمي بصيغة المفرد من فضلك.

فأجابته على الفور: أنت كنت مجنوناً حين اشتريت البيانو.

قرأ الزوج لزوجته معلومة وقال لها: هل تعرفين إن المرأة تنطق *30000* كلمة في اليوم بينما ينطق الرجل نحو *15000* فقط.

أجابته قائلة: هذا صحيح لأننا النساء نضطر دائماً لإعاده الكلام مرتين وثلاثة حتى يستوعب الرجال.